Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليس ، ههنا ، مجال الحديث المفصل عن هذه التائية ، ولعلَّ في دراستها من الوجهة الفنية وفق المناهج الأدبية الحديثة ، أو في قراءتها قراءة أدبية معاصرة ، عمل قد يسمح به الوقت فيما يأتي من زمن ، لكن الغرض من ذكرها في هذا المجال هو التأكيد على ممارسة الالتزام الشعبي فيها وانعكاسه على البعدين الفكري والفني .

إن التائية، وهي من النماذج الأكثر شهرة وشيوعاً في شعر دعبل في رثاء آل البيت ومديحهم ، يمكن أن يشير المرء من خلالها إلى أبرز مظاهر البعد الشعبي في شعر دعبل الرثائي . بل إن التائية برمتها ليست سوى واحدة من الأعمال الشعبية الفنية ؛ وأكبر دليل على هذا هو انتشار صيتها بين ناس عصر دعبل واستمرار هذا الانتشار الشعبي حتى اليوم . ولعلَّ دعبلاً نفسه قد فطن إلى قوة البعد الشعبي في التائية، فحكى عن طلب الإمام الحسن ـ في المنام ـ لسماعها منه ، كما إنه ، وكما يقال ، قد كتبها في ثوب وأحرم فيه ثم أوصى أن تكون في أكفانه ، مما أعطى التائية هالة مُعيِّنة من البعد القدسي في نفوس الشعب . وكما أعجب دعبل بتائيته ، فإنه يبدو وكأن لا بدَّ لكل من سمعها من أن يعجب بها ويستعذب تذوّقها[٢٤] .

في مطلع « التائية » تَذَكُّرٌ لأيام عِزٍّ خَلَتْ ، ولأصحاب مضوا في ظروف محزنة مبكية ؛ وفي المطلع أيضاً ذكر لِعِزِّ دين كان قوياً عظيماً وهو اليوم في هوان . وأي اقتناع أقرب إلى قلوب الناس من العودة بهم إلى عهد الحق والقوة الداعية للحق ، وإلى أهل ذلك الحق والمنافحين عنه ؟ أي مدخل يمكن أن لا يتوقف عند قرع باب القلب بل يقتحمه مباشرة دون واسطة أو استئذان سوى العزف على هذا الوتر العاطفي الشديد اللصوق بالنفس ؟ وأيُّ بساطة في التعبير عن فكرة الحسرة والحنين إلى زمن مضى سوى إبراز هذا الماضي في حُلَلِهِ القشيبة الفاعلة ؟ والمُلاحَظُ ، ههنا ، أن الفكر المجرد يكاد يكون غائباً ، والمجال مفتوح على مصراعيه للعاطفة السَخِيَّة الدافئة الحنون :

قفا نسأل الدار التي خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات ؟